على طريق الأصالة

(٢٦)

التحديات التي تواجه الصحوة

أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

على طريق الأصالة

التحديات التى تواجه الصحوة

لا يرتاب مرتاب فى أن الصحوة الإسلامية التى تظل العالم الإسلامى كله : هى ثمرة حركة اليقظة الإسلامية التى مرت فى مراحلها المختلفة خلال القرن الرابع عشر الهجرى كله والتى استطاعت أن تؤكد وجود مفهوم أصيل الدعوة الإسلامية فى مختلف جوانب الحياة والفكر الثقافة والإجتماع يختلف ويتميز عن مفاهيم الإيدلوجيين المسيطرين على العالم اليوم وهما الليبرالية والماركسية ، ومن خلالها التأثيرات اليهودية على العلوم والفلسفات ، وهى الدعوات الهدامة التى أحياها التلموديون وسيطروا بها على الفكر الذى كله من خلال الايدلوجيين ونحن الآن فى العقد الأول من القرن الخامس عشر نستطيع أن نقول إن الدعوة الإسلامية قد انتقلت من مرحلة الدفاع إلى مرحلة المواجهة للفكر الغربى والكشف عن مفاهيمه التى تختلف مع المضامين الإسلامية وتقديم البديل الإسلامى لها .

وإذا كانت المؤامرات الآن تحاك من القوى الثلاثة لإجهاض الصحوة (أو تدميرها قبل أن تكتمل) التى هى المظهر الحقيقى للدعوة الإسلامية فى هذه المرحلة من حياة الإسلام فإنه لا بد من التصميم على أن تكون القيم الإسلامية الأساسية هى الدعامة الحقيقية لها وأن يكون المنطلق الحقيقى هو قيام المجتمع الإسلامى بإزاحة أسلوب العيش الغربى وإقامة المنهج الإسلامى من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية والتحرر تماماً من النظم المفروضة فى مجال الربا وتحديد النسل والسيطرة على المقدرات ، وكذلك تنقية المجتمع من أوضار التحلل والفساد والانهيار الخلقى والسعى إلى امتلاك المال الحرام والمعروف أنه فى مواجهة الصحوة الإسلامية فقد اتخذت موسعات الغرب أساليب عجيبة تتسم بالحقد الشديد .

(١) فقد أخذت الصحف الغربية تحذر من تنامى الحركة الإسلامية السياسية وتطالب بقطع الطريق على طلائعها ، حتى أن ثلاثة من أكبر الصحف الإنجليزية تشير إلى المسلمين على أنهم وحدهم مكمن الخطر ويقول إن الحكم بالإسلام أصبح مطلباً شعبياً تؤمن به جماهير الشعوب الإسلامية على اختلاف ميولها ومشاربها ولم تعد مطلباً لجماعة إسلامية واحدة ، وأن المقررات الأخيرة لوزراء العدل العرب تطالب بتوحيد جميع للتشريعات العربية على أساس الشريعة الإسلامية ، وقالت الصحف إن الخمسة الكبار الذين قاوموا الشريعة الإسلامية والدعوة الإسلامية (أتاتورك وعبد الناصر وسوكارنو

وأيوب خان وأنور السادات) قد انتهت حياتهم تلك النهاية المفجعة ، وكانوا عبرة لكل طاغية تسول له نفسه أن يظلم شعبه أو ينكل به .

(٢) وتقول جريدة التايمز البريطانية : إن الإسلام ينتشر في إفريقيا على حساب كل من المسيحية والوثنية والماركسية وقالت ربما يكون الوقت قد حان ليدفع الغرب ثمن غروره وتعاليه في الماضي ، وأشارت إلى أن الصحوة في مصر وباكستان وأندونيسيا .

(٣) وعقدت مؤتمرات للتنصير تحمل لواء الدعوة إلى تمزيق أوصال العالم الإسلامي ، كشف هذا مؤلف كتاب (الإنجيل والإسلام) وقال إن هدف المؤتمر تنصير المسلمين فقط وتغيير الأنظمة الاجتماعية والسياسية والمؤتمر يركز على المرأة المسلمة كأساس للأسرة المسلمة ومنها يبدأ الهدم ، وأسلحة الخطة استخدام الغداء كعنصر هام في تنصير فقراء المسلمين .

وقد تردد ذلك في مؤتمر لوزان ١٩٧٤ للكنائس البروتستانية ، وفي مؤتمر ١٩٨١ في أمريكا الشمالية الذي درس جميع أجزاء العالم دون استثناء حتى الأقليات الإسلامية دراسة مقارنة بين النصرانية والإسلام في إفريقيا الشمالية وصحراء إفريقيا والشرق الأوسط وإيران والقارة الهندية وجنوب شرق آسيا وروسيا والصين ودعا إلى ترجمة الإنجيل إلى جميع لغات العالم ، وتدعيم الإرساليات والمخيمات التبشيرية وإصدار صحف جديدة والاعتماد على دور الكنائس

المحلية فى تنصير العالم الإسلامى .

(٤) دفع المجتمعات الإسلامية إلى الانحلال الخلقى عن طريق المسلسلات والأفلام السينمائية القائمة على الجنس والجريمة)

وفى تقرير عن النظرة الغربية إلى الصحوة الإسلامية يقول الكاتب :

إن الغربيين ومن يحذو حذوهم يعتبرون أن العودة للدين الإسلامى :

(أولا) هى تعصب وجمود يبلغ حد رفض التطور .

(ثانياً) انغلاق بعيد فى كثير من الأحيان نوعاً من أنواع رفض الحقائق وعدم القدرة على مواجهة متطلبات العصر .

(ثالثاً) تخلف مرتبط عضوياً بفقر المجتمعات والجماعات الإسلامية هذه العناصر كانت تمثل نواحى ضعف فى مواجهة حضارة عارية تستند إلى قوة السلاح ولكن عندما فشلت تلك الحضارة الأدبية وراحت معالمها تتقلص فى مواجهة غزوة كالنازية والفاشية أو بعناصر ضعف الحضارة الإسلامية أن قاعدة الغرب ضعف يتحول اليوم إلى عناصر قوة فالجمود والتمسك بالماضى أضحى وفاء وثقة فى الذات ، والانغلاقة أنابها صفاء ونقاء والفقر أضحى علامة من علامات الارتفاع

عن مستوى التهالك على مظاهر الحياة المادية ولقد كانت تلك حقيقة أهم عناصر قوة الحضارات التاريخية المعروفة ، إن الحضارات القوية الخلاقة لم تكن حضارات الانكباب على المادة والتفانى من أجل اللذات ، وإنما كانت حضارات التقشف والتضحية ونكران الذات والإيمان » .

كذلك فقد وضح أن هدف الغرب هو احتوائنا داخل مفاهيمه ومقاييسه فى الحياة والحرب والاقتصاد والسياسة والاجتماع وأن هذه المقاييس لا تصلح لنا لأن النظرة الإسلامية دائماً هى نظرة جامعة بين المادة والمعنويات ، أما النظرة الغربية فهى نظرة مادية خالصة .

ومن أمثلة ذلك أننا فى مفهوم التقدم نؤمن بتقدم جامع بين المادة والقيم المعنوية ، وفى الفن تقدم الأخلاق على الجمالى ، وفى الحرب تضع قوة الإيمان بالعقيدة على درجة مساوية لقوة السلاح ، ومن هنا كانت دهشة الغرب لانتصار المسلمين فى حرب رمضان بسلاح « الله أكبر » ولدينا فى الإسلام قاعدة لا يعرفها الغرب وهى :

﴿ وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾

ولدينا قاعدة الالتزام الأخلاقى فى التجارة والتعامل والأسرة والمجتمع ، ولدينا قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هذه

المفاهيم هى أساس الحضارة الإسلامية ولا بد أن تكون أساس المجتمع الذى تقيمه الصحوة الإسلامية ، وهذه القيم ، هى التى تمثل الذاتية الإسلامية التى فرض علينا الإسلام المحافظة على تميزها الخالص ، وهذه هى الخطر الأكبر والأعظم الذى تعمل قوى الغرب جميعاً على إزالته والقضاء عليه وتذويب المسلمين فى بوتقة الفكر الأممى حتى تضيع شخصيتهم وذاتيتهم ويصبحوا شيئاً شائهاً لا يصل إلى ذاتية الغرب ولا يستطيع أن يعود إلى ذاتية الإسلام ، والوسيلة إلى ذلك هى فرض مفهوم العلمانية علينا ، وأمامنا التجربة واضحة وقائمة فى تركيا (أول دولة إسلامية طبقت مفهوم العلمانية) وانسلخت عن ذاتيتها الإسلامية وما تزال ، وهى الآن موضع المعايرة من الغرب لأنها دخلت دائرته ولم تستطع أن تقدم شيئاً فى مجال التقدم أو التكنولوجيا أو المعطيات المادية التى تتميز بها أمم الغرب .

ويقول أحد الباحثين : إن المحتوى الحضارى الإسلامى هو العنصر المقصود تحطيمه وإذابته وتحويله إلى نهج آخر إن لم يكن من السهل القضاء عليه تماماً ، وجاءت معركة العاشر من رمضان منبهة للقوى الإسلامية باعتبارهم مسلمين ، وللإسلام باعتباره حضارة يمكن أن يقوم فى ظلها دولة قوية تستطيع أن تغير موازين الحياة إلى الاعتدال لصالح هذا الشرق المغلوب .

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع بيننا وبين الغرب تتبدل فيها الوسائل والأساليب وقد تتغير الميادين ، والهدف

حرب صحوتنا الجديدة التى أزعجتهم كثيراً نتيجة امتزاج عنصر الإيمان بالله بقدر كبير من الشجاعة والتضحية والقدرة على تنظيم معركة متكاملة ذات أهـــداف محددة أمكن تحقيقها ، وجاء الصراع حول إمكان الحصول على ثمارها . وكان رد الفعل عنيفاً ، فأمريكا أعطت إسرائيل بأكثر مما كانت محتاجة من أسلحة بينما منع السوفيات عنا السلاح .

والهدف هو معاقبة المسلمين حتى يعودوا مرة أخرى كما أشارت الصحف الأوروبية والأمريكية محذرة ومستعدية للقوى المعادية للعرب والإسلام عندما وضعت موضوعات تلك الحرب تحت عناوين : (المسلمون قادمون) .

كذلك بعدما جرى فى قبرص ، حرب متصلة ترمى إلى ضمان الدول الصناعية للحصول على النفط بصورة منتظمة وبأسعار مناسبة ، مجتمع يعيش فى رفاهية ولا بد أن يستمر دون أن يضيف إلى مدفوعاته أعباء جديدة إن تنبيهم لوجهة النظر اليهودية قد أصبح خطراً يهدد مصالحهم الضخمة فى بلادنا .

لقد تنبهوا إلى أن النواة الإسلامية لا تزال حية نشطة قادرة على إفراز الأجنة فى كل وقت ، ومن هنا فإن علينا بناء قوتنا الذاتية وفى مقدمتها البيئة الإسلامية السليمة السوية .

ويقول الدكتور الفرحان : إن المؤامرة على الصحوة تعمل على

استعمال أدوات الحضارة المعاصرة (الآلة ، الكتاب ، الكمبيوتر ، السينما) لهدم الروح الإسلامية القوية ويعلم المستعمر الحديث درس التاريخ وزاد من فهمه لطبيعة الإسلام الصامدة التي تأبى الضيم ، فأرسل بين يدي جيوشه العسكرية جيوشاً من المبصرين في ثياب الأطباء والمهندسين والخبراء وصور جمعيات البر والخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب ، كما استقدم الشباب المسلم إلى جامعاته فرباهم على عينه وسلحهم بمذاهب وعنصريات جاهلية . ومن هنا فإن علينا مواجهة ذلك بسلاح أشد قوة وهو تربية جيل المعتصمين بالله والذين لا تفسدهم هذه الحضارة ولا تذهلهم متارف المدنية وأضواؤها ، فإن هذا الانبهار بالحضارة ومتارفها هو أخطر ما منيت به أمتنا وإن يقود هذه الصحوة إلا المعصومون من الانغماس في اللذات والشهوات والقدوة هي قلب التربية الإسلامية ودعامتها الكبرى .

إنهم يطمعون اليوم في تذليل مفاهيم للإسلام تسمح لهم بالربا وبالسيطرة واستغلال موارد المسلمين وإبقائهم خاضعين تحت إسم الدعوة إلى التسامح والعزوف عن التعصب والعنف ، والمسلمون متسامحون ، ولكن في قلوب هؤلاء الدعاة تعصب وحقد بالغين على الإسلام فهم لا يبغون إلا هدم مفهوم الإسلام الحقيقي ، فلنحذر هذه الدعوة إلى مفهوم إسلامي يرمي إلى توقيف حدود الله أو التشكيك فيها أو التشكيك في الحكم بكتاب الله أو إسلام التشكيك في السنة النبوية أو الفصل بين الشريعة والفقه , أو تقبل مفاهيم منحرطة عن

العلاقة مع أهل الكتاب أو المرتدين ، فما تزال الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والماسونية تتخفى وراء مظاهر براقة يحملها مسلمون مغربون ترمى إلى إعلاء شأن الإقليميات أو القوميات ، وإذا كنا نقبل بالتدرج فى التطبيق كما يجرى فى الباكستان والسودان فإننا لا نقبل بالتنازل عن أى أصل من الأصول الثوابت تحت إسم التطوير أو المراحل .

(٣)

وعن الأقلام المسمومة تقرأ ما يشكك فى الصحوة الإسلامية ، كما يدعى البعض من أن الحركة الإسلامية تمثل عقبة فى سبيل استقرار الديمقراطية فى مصر حيث أنها تناقض المبدأ الذى استقر منذ عصر النهضة الحديثة فى مصر ألا وهو من فصل الدين عن الدولة ويعادى شرعية النظام القائم بدستوره وقوانينه الوضعية ونظامه الحزبى »

والحقيقة أن ما كتبه (سيد يس) هـذا فيه مغالطة كبيرة فإن الدستور ينص على أن الإسلام دين الدولة وعلى أن الشريعة الإسلامية هما المصدر الأساسى للقوانين ، فكيف تكون الحركة الإسلامية معارضة لنظم البلاد أو أن هـذا النظام قائم على فصل الدين عن الدولة .

ويقول الدكتور محمد يحيى إن هذا المقال بمثابة استمرار للسياسة -

اللادينية التى تنتهجها جريدة الأهرام مهاجمة للإسلام وضاربة به عرض الحائط ، كما يقال عن الصحف القومية التى يفترض أنها للجميع فى هذا البلد المسلم الذى يمول شعبه الأهرام ذاتها بمبالغ طائلة من قوته .

أما مقولة فصل الدين عن الدولة التى يطرحها سيد يس كأنها حقيقة راسخة عرفها المجتمع المصرى ويقبلها ، ناسياً أن الدساتير المصرية الحديثة منذ دستور ٢٣ تنص على أن الإسلام دين الدولة وأن واحداً من الحكام والقادة السياسيين وحتى الذين اختلفوا مع الحركة الإسلامية أو كانت لهم توجهات إلى مذاهب أخرى لم يقولوا بفصل الدين عن الدولة من الناحية الدستورية أو السياسية على النحو الذى يلمح إليه ، وقد احترم حكام عصر النهضة ـ كما يسميه ـ الإسلام وعين أولهم محمد على بمباركة شيوخ الأزهر ، بل إن النهضة الحديثة نفسها نشأت على أيدى علماء هذا المعهد العريق .

وعندما يتجاهل الكاتب هذه الحقيقة ويعلن أن أساس المجتمع المصرى الحديث كان فصل الدين عن الدولة فإنه يضلل قارئيه ويمهد لتحريضه السافر ضد الحركة الإسلامية حيث يعتبرها خارجة على المجتمع المصرى ونظامه مما يستوجب قمعها حرصاً على الديمقراطية .

وهكذا تنقلب الأوضاع بجرة قلم ، فيصبح المصريون المسلمون الداعون إلى التمسك بالدين وتطبيق تعاليمه وطرح مبادئه وقيمه كخطوط

للعدل وهداية المجتمع خارجين عن القانون، وتتحول دعوة اللادينية التى لفظتها الأمة بكافة تياراتها إلى العامل الأمثل والراسخ فى كيان المجتمع المصرى.

ويواصل الكاتب تشويهه للحركة الإسلامية فيقول : إنها تدعو لقلب نظام الدولة بالعنف وينسى أن أسطورة العنف هى أكذوبة خلقتها وروجتها أجهزة معادية للحركة الإسلامية لتعزلها عن الجماهير وتبرر سحقها ومحاكمة أعضائها بالمئات وإنزال العـــذاب وأقصى العقوبات بهم .

أما العنف الحقيقى فهو الذى مارسته القوى المسيطرة المعادية للدعوة الإسلامية ، التى اعتمدت على أساليب الدعوة العلنية والنشر والاتصال بالجماهير والتحرك الاجتماعى والطلابى والبرلمانى كما سعت إلى الدخول للمجالس النيابية وتكوين منظمات علنية معترفاً بها ، ولو كانت تسعى للعنف لما كان هذا سبيلها .

أما عن الدستور فإن الحركة الإسلامية هى التى تدعو إلى إعمال نصوصه المتعلقة بالإسلام كدين للدولة وبالشريعة الإسلامية كمصدر رئيسى للشريعة الإسلامية ، وخصوم الحركة الإسلامية من دعاة اللادينية هم الذين يحاربون الدستور بمذهبهم هذا حتى إذا افترضنا أن الحركة الإسلامية تدعو إلى تعديلات فى الدستور أو فى القوانين .

فإن هذا لا يعنى أنها تهدم شرعية النظام القائم أو تنشر الفوضى فهذا حق لها فى إطار نظام ديمقراطى ، وهو حق تمارسه الآن كل الأحزاب والتيارات فى مصر دون أن توجه إليها تهمة الخيانة أو المروق كما يفعل الدكتور يس ، وينسى الكاتب أن رفض القوانين الوضعية الذى ينسبه الكاتب للحركة الإسلامية لا يعنى رفض القانون ككل أو سحب شرعية النظام ، ولكنه يعنى إكساب النظام الشرعية الحقيقية المستمدة من تطابقه وانسجامه وامتثاله لحكم الدين فى القضايا المحددة وقيامه بالاجتهاد المستنير بنصوص وروح الشريعة الإسلامية والبعد عن المبادىء والقوانين المستلهمة من نظريات غربية معادية للأديان .

إن الحركة الإسلامية لا تدعو إلى إلغاء القوانين أو المجالس التشريعية أو عملية التشريع نفسها ، ولكنها تدعو إلى أن تهتدى هذه العمليات والمؤسسات بالإسلام ، وهو عقيدة أغلبية المصريين ورؤيتهم للحياة مثلما تهتدى المؤسسات والعمليات المماثلة فى الشرق والغرب بعقائدهم الدينية والفلسفية عن التشريعية كمراجع عليا ومصادر كبرى للمشروعية .

وينسب الكاتب للحركة الإسلامية أنها ترفض نظام الأحزاب كبدعة مستوردة .

وهذا القول صحيح بصرف النظر عن صدمة الكاتب فى نسبته إلى

الحركة الإسلامية ، فالتعدد الحزبى على الصورة الليبرالية المعروفة هو من نتاج الفكر السياسى الاوربى ، والاوضاع هناك خلال القرنين الماضيين ، وتوجد فى مصر تيارات ترفض هذا النظام من أساسه ، كالناصرية والشيوعية ، ومع ذلك فإن تحريض الكاتب وهجومه لم يمتد إليها بل اقتصر على الحركة الإسلامية لغاية فى نفس يعقوب فى الجريدة والذين يوجهون الجريدة ذاتها .

ومع ذلك فقول الكاتب مردود بسعى الحركة الإسلامية نفسها إلى تكوين أحزاب ومنظمات لها ، وهو الأمر الذى استدعى وضع قانون خاص يحول بينها وبين ذلك .

ويشعر الكاتب باهتزاز موقفه فيقول : إنه يميز بين الدعوة إلى تطبيق الشريعة وبين الدعوة إلى إقامة مجتمع دينى فى مصر، ولكنه فى غمرة حماسه للهجوم على الحركة الإسلامية ينسى تطبيق الشريعة فى حد ذاته يعين قيام مجتمع دينى أو التمهيد لقيامه وهو ما لا يدركه المعارضون لتطبيق أحكام الإسلام . ويحار المرء فى أسباب اعتراض الكاتب على قيام مجتمع دينى فى مصر فهل هو متأثر بالافكار اللادينية الاوربية التى نشأت نتيجة لمفاهيم مشوهة حول دين آخر غير الإسلام أو لعله لايدرك أبعاد التصور الإسلامى للمجتمع ، وربما كان يحاول تضليل القراء بإشارة مبهمة إلى مخاطر وهمية متضمنة قيام هذا المجتمع ؟

رقم الإيداع ٤٥٠٥ / ١٩٨٩

مطبعة دار البيان - بعابدين